أحب الأطفال - دراسة نقدية في السمات العامة -

الدكتور: حبيب الله علي إبراهيم علي
جامعة أم درمان الإسلامية - السودان

ملخص البحث

عرضنا في موضوعنا هذا (أدب الأطفال دراسة نقدية في السمات العامة) إلى القضايا التالية :

أولاً : التعريف بأدب الأطفال وفلسفته ، حيث بينا أن أدب الأطفال واسع المجال ، متعدد الجوانب ، كما وقفنا على مفهوم الطفل في القرآن الكريم وذلك من خلال بعض الآيات القرآنية التي ذُكر فيها لفظ الطفل بصيغة الأفراد أو صيغة الجمع ، وأوضحنا المقومات التي يستمد منها أدب الأطفال فلسفته .

ثانياً : نحو ملامح مستقبلية لأدب الأطفال : فقد أشرنا إلى الظواهر التي يدور فيها أدب الأطفال مثل : ظاهرة قصص الأطفال وظاهرة قصص التاريخ وظاهرة قصص الخيار العلمي ، والبرامج التليفزيونية والتراث العربي والإسلامي وما ينضوي تحتها .

ثالثاً : المشاكل التي يعاني منها أدب الأطفال : عدّنا كثيراً من المشاكل التي يعاني منها أدب الأطفال كافتقاره إلى تحديد السنة المناسبة لكل قصة ، أو كتاب يؤلف للأطفال أو غير ذلك .

رابعاً : مجالات أدب الأطفال : فصلنا القول في مجال أدب الأطفال كالقصص، والمسرحيات ، والشعر ، والبرامج الإذاعية والاسطوانات ، والمواد الصحفية .

خامساً : التشكيل اللغوي في أدب الأطفال : فقد أوردنا ما ينبغي أن تكون عليه اللغة في أدب الأطفال من الوضوح والبساطة وعدم التعقيد والغموض ، كما بينا أطوار النمو العقلي والوجداني لدى الطفل ، واللغة التي تناسب كل طور منها .

ثمّ ذيلنا البحث بخاتمة حوت أهمّ ما توصلنا إليه من نتائج من هذه الدراسة .

مقدمة

حاولنا في هذه الدراسة التعرف على أدب الأطفال وذلك بالوقوف على أهم سماته العامة، ولعل رغبتني الأكيدة في المساهمة بالكتابة في هذا النوع الأدبي ، ثم قلة الدراسات في مجال أدب الأطفال مقارنة بالدراسات الأدبية والنقدية في مجال أدب الكبار وغيرهما من أسباب ، من أقوى دوافع اختياري لهذا الموضوع، وقد عالجنا في هذا البحث القضايا التالية :-

أولاً : التعريف بأدب الأطفال وفلسفته .

ثانياً : نحو ملامح مستقبلية لأدب الأطفال .

ثالثاً : المشاكل التي يعاني منها أدب الأطفال .

رابعاً : مجالات أدب الأطفال .

خامساً : التشكيل اللغوي لأدب الأطفال .

ثمّ ذيلنا البحث بأهم ما توصلنا إليه من نتائج من هذه الدراسة .

تعريف بأدب الأطفال وفلسفته :-

أدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، ومتغير الأبعاد، طبقاً لاعتبارات كثيرة، مثل: نوع الأدب نفسه، والسن الموجه إليه هذا الأدب، وغير ذلك من الاعتبارات... فأدب الأطفال لا يعني مجرد القصة، أو الحكاية النثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها. إن كل ما يكتب للأطفال، سواء أكان قصصاً، أم مادة علمية، أم تمثيلات أم معارف علمية أم أسئلة أم استفسارات، في كتب أم مجلات أم في برامج إذاعية أم تلفزيونية أم كاسيت أم غيره، كلها مواد تشكل أدب الأطفال⁽¹⁾.

ومفهوم الطفل في القرآن الكريم هو : منذ ولادة الصبي إلى أن يحتلم. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾⁽²⁾. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾⁽³⁾. وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَضُوا﴾⁽⁴⁾.

ويعد أدب الأطفال من الفنون الحديثة في الأدب العربي والعالمي. ومن هنا فلا مندوحة - بداية - عن تحديد المقصود بأدب الأطفال "المصطلح" والحديث عن فلسفته لا يختلف أدب الأطفال في مفهومه عن الأدب عموماً، إلا في كونه موجهاً إلى فئة خاصة هي الأطفال، وهذه الفئة تتميز بمستوى عقلي معين، وبإمكانات وقدرات نفسية ووجدانية تختلف عنا نحن الكبار، فتجارب الطفولة وميزاتها محددة، وآفاقها التخيلية واسعة رحبة لا تحدها حدود، ولا تحاصرها ضوابط كضوابطنا نحن الكبار، ووسائلهم في البحث والتفكير والتحليل والاستيعاب ليست كوسائلها الناضجة التي اكتسبناها بالمران والتجربة الطويلة والثقافات المتنوعة⁽⁵⁾. ويعرف أدب الأطفال بأنه "نوع أدبي" متجدد في الأدب الحديث يتوجه لمرحلة عمرية متدرجة من عمر الإنسان، يكتبه الكبار للصغار، في الفنون النثرية والشعرية المتنوعة في لغة تتناسب وجمهور الأطفال ومداركهم، وفقاً لمعايير كتابة النص الأدبي للأطفال، وليس عنهم، ومن أهم روافد أدب الطفولة في أدب أي لغة الحكايات الشفهية والشعبية، ويهدف النص الأدبي في سائر قوالبه إلى الوظائف الأخلاقية والتربوية والفنية والجمالية⁽⁶⁾.

يشير التعريف السابق إلى أهمية التمييز بين النتاج الفكري المكتوب عن الطفولة - ثقافة الطفل - والنتاج الأدبي الموجه لهم، فهو أدب يكتب وفق معايير كتابة النص الأدبي. ولكنه يوجه لجمهور معين:

(1) أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية: د. إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، 2000م، ط1، ص18.

(2) سورة الحج : الآية 5

(3) سورة غافر : الآية 67

(4) سورة النور: الآية 59

(5) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: نجيب كيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص13.

(6) معجم الطفولة، مفاهيم لغوية ومصطلحات: أحمد زلط، د. ت، القاهرة، ط1، 2000م، ص64.

الأطفال، لذلك يعمل الأديب على مراعاة عدة أمور عند كتابة نصه منها! المراحل العمرية للأطفال وخصائصهم، وحاجاتهم النفسية وغيرها من الأمور المتعلقة بهم.

وبشير كذلك - أي التعريف - إلى قضية مهمة جداً و هي أن أدب الأطفال يكتبه الكبار للصغار، وبذلك تم حسم الخلاف حول مسألة تسميته بأدب الأطفال، أو الأدب الموجه للأطفال، فأصبح مصطلح أدب الأطفال عند جميع النقاد والكتاب المتخصصين به يعني: النتاج الأدبي الذي يكتبه الكبار للصغار، فالكبار هم الذين يصنعون أدب الأطفال ولكن الصغار هم الذين يكتبون له الخلود⁽¹⁾.

وتستمد فلسفة أدب الأطفال مقوماتها من فلسفة المجتمع وعاداته وتقاليده، كما تستمد هذه الفلسفة اليوم من فلسفة التربية الحديثة، التي تولي الطفل اهتماماً خاصاً بشخصيته، وصفاته الجسدية، والعقلية، والنفسية والاجتماعية، وتسعى إلى أن يحيا الطفل طفولته، ويبني مستقبله بسلام وطمأنينة، الأمر الذي حدا بالقائمين على أدب الأطفال إلى صقله بألوان الأدب التي تلبي احتياجات الطفل وتتاسب قدراته بأسلوب فني جميل، يثير خيال الطفل وينمي فيه التذوق وحب الجمال واستيعاب الأدب⁽²⁾.

نحو ملامح مستقبلية لأدب الأطفال :-

ولنتساءل ونحن نبحث عن ملامح مستقبلية لأدب الطفل⁽³⁾ :

أولاً: كيف نكتب للطفل الآن؟ و ما سلبيات الظاهرة؟ وما إيجابياتها؟ وما الوسائل والأدوات المقترحة لتجاوز الأزمة: ويندرج تحت هذا التساؤل عدة ظواهر وممارسات لا بد من إثارتها ومعالجتها في ميدان الكتابة للطفل، أو عن الطفل، وهي:

أ- ظاهرة قصص الأطفال بين الواقع الجميل والخيال العايب!

ب- ظاهرة قصص التاريخ ومحاولات تشويه الذاكرة.

ج- ظاهرة قصص الخيال العلمي وحتمية تقريب الحقائق العلمية وتعميقها بأسلوب واقعي مشوق بعيد عن الإسفاف والابتذال.

د- البرامج التليفزيونية وخطورة ألعاب الكرتون على التكوين الإدراكي للطفل.

ثانياً: التراث العربي والإسلامي وخصوصيته في تنمية المهارات الأدبية لدى الطفل مع ضرورة الاطلاع على جهود الأمم الأخرى في مجال ثقافة الطفل وأدب الأطفال، وهذا التراث حافل بالمادة الغزيرة التي تثري عالم الطفولة، وتسمو بخيال الأطفال وتجمل واقعهم، تصبح بديلاً عن الألعاب الكرتونية القائمة على الحيل والخدع، والتي لا تؤدي إلا دور التسلية والمتعة الوقتية، وتسحر قلوب وعقول الأطفال بلا أية ثمرة واقعية تربية توجههم إلى السلوك الإيجابي في الحياة، وإنما تدرّب الأطفال على العنف. وعلى الحيل الخادعة، والميول العدوانية، وتتنوع هذه المادة التراثية كما يقول د. نجيب الكيلاني "وعلى كتاب أدب الطفل أن يصوغوا من هذه المادة التراثية ما يروونه ملائماً من وسائل التعبير، و المشاهد الدرامية، والبرامج الإذاعية

(1) في أدب الأطفال : علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1982م، ص65.

(2) أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية: د. إسماعيل عبد الفتاح، ص30.

(3) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. صابر عبد الدايم، دار الشروق، القاهرة، 2002م، ط1، ص208-211

والتلفزيونية، وهذه المادة تتكون من المنابع التراثية التي تتشكل من فيوضاتها حضارة الأمة العربية والإسلامية وهي:

- 1- قصص الأخبار والمغازي والمثل وحكايات الأبرار والصالحين وهذا قصص واقعي تاريخي.
 - 2- ما ورد في القرآن الكريم من قصص وأمثال، وتقديم هذه القصص يتم في إطار الالتزام بالمفاهيم الإسلامية، والبعد عن التفاصيل التي لا سند لها من التاريخ، والتي حفلت بها الأناجيل، وجاءت في نصوص التوراة وهي نصوص بينها وبين النص الصحيح مسافات وزيادات وإضافات.
 - 3- ما ورد في الأحاديث النبوية من قصص، وهو يحمل المغزي الإصلاحي، والتكوين الاجتماعي والنفسي.
 - 4- قصص الفتوحات الإسلامية، وقصص الشعوب الأخرى غير العربية، التي تم فتحها ونشر الإسلام فيها، والقصص الشعبي.
 - 5- قصص الأسفار والتجار والرحلات.
 - 6- بعض قصص الجن والملائكة والسحر، وتعرض في أسلوب تربوي يبصر الطفل بهذه العوالم، وينزع من نفسه الخوف التقليدي، ويترد عنه تراكمات الأشباح والأساطير التي ترسبت في الذاكرة الجماعية والشعبية من حكايات وخرافات.
 - 7- قصص على أسنة الحيوانات والطيور.
 - 8- الأناشيد والأغاني والأشعار، ويمكن تأليف ما يناسب الطفل في مراحل عمره المختلفة، لغة، وفكراً، وإيقاعاً، وخيالاً، وسلوكاً.
 - 9- تقديم ما يناسب الطفل من الحكم والأمثال والخطب.
 - 10- تقديم ما يناسب الطفل من الألغاز المفيدة، "شعراً ونثراً"
- ثالثاً: التكوين الوجداني والعقلاني للطفل... كيف يكتب؟ وما الوسيلة إلى ذلك؟
- وهذا التكوين الذي يمثل أهم ملامح مستقبل أدب الطفولة تتضافر في الحفاظ عليه، والإعلاء من صرحه، وتعميق قضاياها المحاور الآتية:
- أ) ضرورة حفظ الأطفال للقرآن الكريم في سني عمرهم الأولى من سن "الرابعة" عن طريق "التلقين" أو سماع تسجيلات القراء.
 - ب) إعادة كتابة سير علماء الإسلام وقادته القدامى والمعاصرين في صيغة ميسرة تلتزم بحقائق التاريخ، وتصب في قالب أدبي مشوق.
 - ج) تقديم منجزات علماء العربية والإسلام في مجال العلوم التجريبية، إلى جوار منجزات علماء الغرب والشرق في العصر الحديث، في أسلوب ميسر، ولغة أدبية حوارية مشرقة.
 - د) إنشاء أقسام لأدب الطفل بكليات الآداب والتربية، واللغات والترجمة، واللغة العربية.

هـ) إنشاء مجلة متخصصة تعني بأدب الطفل تنظيراً وتطبيقاً، لأن معظم المجالات الموجودة في الساحة بمنأى عن الصيغة الأدبية الحقيقية لأدب الطفل، وكثير منها يعتمد على الترجمة والاقتباس والتعريب، ويلجأ إلى الصيغة التجارية.

و) متابعة وتقييم البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي تقدم للأطفال في جميع الدول العربية والإسلامية عن طريق هيئة متخصصة في هذا المجال تكون في كل بلد.

ز) متابعة ما ينشر بالصحافة اليومية، وكذلك المجالات والدوريات موجهة للطفل عنه، وله، ومنه، وتقييم هذا النتاج وتعديل مساره والتنبيه إلى خطورة الفاسد منها.

ح) المناهج الدراسية في مراحل التعليم الأولى⁽¹⁾ : الحضانه، والروضة، والابتدائي، والمتوسط، عليها العبء العلمي والتربوي والنفسي للتكوين الفكري والأدبي والعلمي للطفل والشباب المسلم وهذا يتطلب إخلاص خبراء التربية ومشاركة كبار المبدعين لهم في تقديم المنهج الملائم بعيداً عن ترجمة النظريات والطرق والمناهج، التي صيغت في بيئات لا تتفق مع مكوناتنا الروحية والنفسية والاجتماعية، ويبقى الطفل جوهرة الواقع وكنز المستقبل، وهو هبة من الله العلي القدير، وأمانة في أعناقنا، حملناها طواعية وحباً، والمحافظة عليها واجب ديني، وخلق إنساني وتمسك بالوجود المثمر المعطاء .

المشاكل التي يعاني منها أدب الأطفال :-

يعاني أدب الأطفال العربي من عدة مشاكل أبرزها⁽²⁾ :

أولاً: أنه يفنقر إلى تحديد السن المناسبة لكل قصة، أو كتاب يؤلف للأطفال فمن الشائع في دور النشر العربية إصدار كتب الأطفال دون تحديد المرحلة العمرية المناسبة، إلا في قليل مما يصدر⁽³⁾ .

ثانياً: إذا قورن الكتاب الذي يقدم للطفل العربي بالكتاب الغربي من حيث الشكل، وجد أنه "يفنقر إلى التغليف المتين الجذاب، والحجم المناسب، والطباعة الأنيقة، والورق الجيد، والصور الواضحة التي تساعد على الفهم وتهذيب الشعور، وترقي بالإحساس وتنمي التدوق عند الأطفال، لذا فإننا نلاحظ أن كتب الأطفال في بلادنا ما زالت بعيدة بعداً كبيراً عن المستوى الذي بلغته في الأمم المتقدمة، وإن أطفالنا إذا أريد لهم أن ينشأوا قادرين على فهم أنفسهم وفهم العالم المحيط بهم، لا بد أن يهيئ الراشدون لهم كل الفرص للاحتكاك بالكتب التي تناسب ميولهم ومراحل نموهم"⁽⁴⁾ . ولا ينطبق هذا الرأي على كل الكتب المقدمة للأطفال حتى الآن، فقد بدا الاهتمام بشكل الكتاب المقدم للطفل العربي، واضحاً، في الثمانينات من القرن الماضي وكان هذا الاهتمام من جانب الكتاب ودور النشر، لإدراكهم أن جودة الغلاف والطباعة تساعد على إثارة اهتمام الأطفال بالقراءة وإقبالهم عليها.

(1) في مراحل التعليم بالسودان دمجت المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة في مرحلة واحدة تسمى بمرحلة الأساس.

(2) البني الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، د. موفق رياض مقدادي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2012م، العدد 392، ص 44-46.

(3) أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية: رشدي أحمد طعيمة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م، ص88.

(4) أدب الأطفال: عبد الرازق جعفر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1979م، ص452.

ثالثاً: تعتمد كثير من القصص على الحظ والمصادفة، والسحر، والجن، والعمارة، وهذه القصص لها نتائج خطيرة، لأنها تغرس في الأطفال الميل إلى الاعتقاد أن النجاح في الحياة لا يعتمد على الجهد الشخصي والدراسة والجدية بقدر ما يعتمد على الحظ، أو على جني أو ساحر يخلق السعادة للطفل، كما أن بعض القصص التراثية تعالج أخبار الملوك والأمراء وتهدف في معالجتها إلى بيان فضلهم، حتى لو كانوا يتصفون بالجبروت والبطش⁽¹⁾.

رابعاً: إن أدب الأطفال من خلق وقصد الكبار، ومن ثم فهو ينقل إليهم وجهات النظر التي يعدها هؤلاء أكثر إفادة لتنشئة القراء "الأطفال" كما ينقل -أيضاً- وجهات النظر تلك في المصطلحات والأسلوب اللذين يعدهما الكبار مناسبين وملئمين لفهم وذوق جمهورهم⁽²⁾. نتيجة لذلك فقد "اتضح أن معظم المواد المقروءة والمسموعة والمرئية التي تقدم للأطفال خارج المدرسة وداخلها ترتبط بثقافة الذاكرة، لا بثقافة الإبداع، فهي حقائق سردية تقريرية.. كما أنها لا تحقق حواراً مع الطفل، وهي مادة تخلو من التعليل والتفسير والموازنة، وإعمال الفكر، وفيها إهمال للبحث عن العلاقات بين القضايا، وبعد عن استخدام الخيال"⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق فإنه ليس كل ما يكتب للأطفال يعد أدباً، فأدب الأطفال -باختصار هو ما يقرأه الأطفال بإعجاب وتقبل، لذلك فإن أدب الأطفال العربي يحتاج إلى وضع معايير مناسبة لتنمية الإبداع لدى الأطفال، ووضعهم في سياق اجتماعي يساعدهم على تنمية قدراتهم وفكرهم، وخيالهم، وأهم هذه الأمور التي يجب مراعاتها: وضع مادة أدب الأطفال على شكل مشكلات تستثير الطفل وتنمي عقله، وتفتح المجال أمامه ليفكر تفكيراً علمياً، وتفسح المجال لخيال الطفل كي يتصور ويخلق في عالم مفارق لعالم الواقع.

عرض مواد أدب الأطفال على أنها نتيجة تطور، لا يقف عند حد، وإتاحة التحري للعقل بعرض المقدمات ثم النتائج، وتحرير عقل الطفل من المحرمات الفكرية، ودعوته إلى الارتباط بالبيئة للبحث عن خبرات جديدة. تدريب الطفل على الاستماع الناقد، والقراءة والمشاهدة النافذة، وقبول آراء الآخرين، والدعوة إلى التفسير والتعليل، والموازنة بين الآراء، والحقائق وكشف العلاقات والدعوة إلى تفعيل الخيال.

خامساً: لا يخفى على الدارسين والقراء أهمية الترجمة في أدب الكبار والصغار على حد سواء -فالترجمة تقدم للطفل قصصاً أدبية من بيئات متعددة: إنجليزية، وكندية، وصينية، وهندية، وفرنسية، وألمانية، وتحمل في ثناياها فوائد عديدة، ولكن يلاحظ أن بعض القصص ترجمت بترجمات مشوهة، وبعضها يميل إلى الإفراط في وصف معتقدات أهل البلاد التي ترجمت القصص منها، وذكر عاداتهم وتقاليدهم دون أن تقدم فائدة أدبية أو علمية للطفل.

سادساً: عزوف كبار الأدباء عن الكتابة للأطفال، وليس هذا فحسب، فالأفلام النقدية-لكبار النقاد- لا تسهم أيضاً في إثراء مادة أدب الأطفال، لأن جل اهتمامها ينصب على الأدب المقدم للكبار.

مجالات أدب الأطفال :-

(1) أدب الأطفال: جعفر عبد الرازق، ص 453-454

(2) مشكلات الأدب الطفلي، سيسيليا ميرابل، ترجمة مها عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1997م، ص 97.

(3) أدب الطفل العربي: حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1991م، ص 13.

تختلف مجالات الكتابة للأطفال وتتباين إلى درجة كبيرة، وتتخذ أشكالاً عديدة⁽¹⁾ منها:

1- القصص: وتتفاوت في طولها وفق الاعتبارات الفنية والتربوية، وتختلف في أنواعها، فمن الفكاهية والخيالية وقصص الأساطير والخرافات.. إلى التاريخية والجغرافية والعلمية، وقصص المغامرات والأبطال وحياة المشاهير والعظماء والعلماء والمخترعين.. ومن قصص الحيوانات الناطقة، والقصص العالمية المبسطة.. إلى غير ذلك من أنواع القصص التي يذخر بها عالم الأطفال.

2- المسرحيات: وقد تكون تعليمية أو أخلاقية أو قومية أو فكاهية ترفيهية، وما إلى ذلك وفق الهدف الذي ترمي إلى تحقيقه، وجوهر الموضوع الذي تدور حوله أو الطابع الذي يغلب عليها، ولو أن هذه الأنواع كثيراً ما تتداخل، لتخدم أكثر من هدف في وقت واحد، فتجمع مثلاً بين الفكاهة وتقديم بعض الحقائق التعليمية أو الانطباعات الأخلاقية التوجيهية غير المباشرة ومن زاوية "الممثلين" تنقسم المسرحيات إلى أنواع أخرى، مها:

- مسرحيات يقوم بأداء الأدوار المختلفة فيها الأطفال أنفسهم.

- مسرحيات يقوم بأداء الأدوار المختلفة فيها ممثلون من الكبار، ليقوم بمشاهدتها جمهور من الأطفال.

- مسرحيات تقدم بالعراس لجمهور من الصغار.

3- الشعر: ومن ناحية الشكل يخرج الشعر إلى عالم الأطفال في صورة الأغنية والنشيد... والأوبريت والاستعراض الغنائي... والمسرحية الشعرية... ويغلب أن يعتمد الأداء في هذه الأشكال المختلفة على الأطفال أنفسهم، ولو أنه يحدث أحياناً أن يقوم الكبار بعملية الأداء، وخاصة في ميدان الأغنية.

وأما من ناحية المضمون، فقد يتناول الشعر الموضوعات الوطنية والمناسبة القومية أو التاريخية... وقد يتغنى بالطبيعة والربيع والزهور، والفرش والطيور.. أو الشخصيات والموضوعات والأشياء التي يرتبط بها الطفل ارتباطاً وجدانياً خاصاً مثل الأم والأب والأسرة. وبالإضافة إلى هذا توجد أغانٍ وأناشيد خاصة بالمدرسة والرحلات والنادي والأسر المدرسية، وأعياد ميلاد الأطفال، وما إلى ذلك.

4- البرامج الإذاعية والتلفزيونية: وقد تضم القصص بأنواعها والتمثيلات والأغاني والاستعراضات والبرامج الخاصة والتعليمية وما إلى ذلك. وكل هذه الألوان المختلفة تشترك في صفة أساسية مميزة وهي أنها معدة بطريقة إذاعية أو تلفزيونية خاصة تتفق مع ظروف وإمكانيات وسيلة الإعلام التي تقدم عن طريقها إلى جمهورها من الأطفال.

5- الاسطوانات: يمكن أن نقدم للأطفال عن طريقها الأغاني والأناشيد والتمثيلات والقصص والمواد التعليمية وما إليها مما يعد إعداداً خاصاً يقرب من الإعداد الإذاعي ويتقيد بزمن الاسطوانة.

6- المواد الصحفية: والكتابة الصحفية شكل آخر من الأشكال التي يصل بها أدب الأطفال إليهم، مستعملاً أساليب عديدة متنوعة تستفيد من إمكانيات الصحفية، فتقدم إليهم القصة المصورة بأنواعها المختلفة،

(1) فن الكتابة للأطفال : أحمد نجيب ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر فرع مصر ، 1968م، (د.ط). ص 22- 24.

والتحقيق الصحفي، والجولات المختلفة، والأغاني والتمثيلات القصيرة، والمسابقات الأدبية والثقافية، والموضوعات التعليمية، والتاريخية، والجغرافية، وما إليها بأسلوب شيق مصور ملون، بالإضافة إلى أخبار الأطفال المحلية والعالمية، مع ألوان ونماذج مختارة من قصصهم وآدابهم عند مختلف الشعوب المعاصرة.

7- الأفلام: ويمكن عن طريق الإمكانات السينمائية الضخمة أن نقدم للأطفال ما يخلق بهم في سماء البيئات الجغرافية، والأجواء التاريخية، وفي عوالم الحيوان والنبات، وعجائب الطبيعة وغرائب المخلوقات، كما يمكن أن نكتب لهم قصصاً هادفة، أو أفلاماً علمية وتعليمية شيقة.

والملاحظات العامة على الإنتاج المطروح حالياً للأطفال، أن أغلب القصص المكتوبة وشرائط الفيديو وبرامج الكمبيوتر، وبرامج التلفزيون وأفلام السينما وغيرها، تكاد تغرق الأطفال في الخيال والخرافة بطريقة غير ملائمة. أيضاً عدم وجود الناشر المتخصص في طباعة كتب الأطفال، إلا فيما ندر. وعدم وجود المنتج المتخصص لإنتاج الشرائط وأفلام تناسب الثقافة التي نريدها لأطفالنا. أو اعتماد شركات الإنتاج الفني على استيراد أو إعادة إنتاج قصص موجودة في التراث وليست مناسبة للعصر الذي نعيش فيه ويعيشه الطفل العربي، كل هذا يعد من أهم الملاحظات.

وإذا كنا نشيد الآن بوجود إنتاج لا بأس به للأطفال. مع الاحتفاظ بالملاحظات السابقة فإننا يجب أن نعترف بأن غياب أدب الطفل العربي في الفترة الماضية، كاد يعود إلى تأخر اهتمام الأدباء والناشرين العرب المعاصرين بالكتابة إلى الطفل وبكتاب الطفل وثقافته، وإلى النظرة التي كان وربما ما زال ينظر من خلالها إلى أدب الأطفال من حيث أنه أدب من الدرجة الثانية أو الثالثة⁽¹⁾.

التشكيل اللغوي في أدب الأطفال :-

اللغة وسيلة الأديب للتعبير، وهي وسيلة للاتصال بين المبدع والمتلقي. والكتابة للأطفال لها خصوصية، لأن المتلقي فيها يحتاج إلى عناية وانتباه خاصين، فمن "الصعب كتابة" أعمال أدبية للأطفال، إلا أن الأمر ليس مستحيلاً، فهو صعب لأنه يتطلب من الكاتب مواصفات خاصة من حب للأطفال، وحس تربوي، وبساطة في العرض، وإدراك واعٍ لعالم الطفل⁽²⁾.

تساعد الحكاية والمطالعة على "تقوية الملاحظة" لدى الطفل وكذلك إثراء لغته، بل على التغلب على سطحية وضحالة تفكيره وخبراته ولاسيما إذا كان موضوعهما مرتبطاً بواقع الطفل وتجاربه وعلى العكس من ذلك إن كان مضمونها قائماً على الخيال أو بعيداً عن واقع الطفل، فإنهما يفتحان باباً على الخيال، ولاشك أن مآثر وميزات الحكاية والمطالعة واضحة وسافرة لكل ذي عينين، وخاصة من الناحية اللغوية، فهما يثران قاموس الطفل ويصححان نطقه، ويعلمانه استخدام الألفاظ والمفردات، ويقدمان له نماذج في سياق حي

(1) أدب الأطفال في الوطن العربي قضايا وآراء، أحمد فضل شبلول، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، 2000م، ط1، ص6

(2) التربية اللغوية للطفل: سرجيو سبيني، ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح عبد الفتاح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1،

وشيق، والأكثر من ذلك يتيحان فرصاً للحوار والمحادثة وللتعبير بالرسم وبأشكال التمثيل المختلفة... كما أنهما - في نهاية الأمر - يعدان الطفل لتعلم القراءة الشخصية، أي قراءته بمفرده معتمداً على ذاته⁽¹⁾ .

ومن الضروري لكاتب الأطفال أن يأخذ متلقي الرسالة الأدبية- الجمهور القارئ- بعين الاعتبار، لأن الطفل يقوم بدور المتلقي، أي يقوم بالوظيفة النقدية الأساسية القائمة على قبول العمل الأدبي أو رفضه، فالذين يتصدون للكتابة إلى القارئ الصغير عليهم أن يلموا بعد اكتسابهم للموهبة "بالهدف الذي يتوجهون إليه، فإذا أرادوا مخاطبة طفل في الثامنة من العمر مثلاً عليهم أن يفهموا هذا الطفل فهماً كاملاً، كيف يفكر، ما خصائصه النفسية؟ ما مطالب نموه؟ ما مستواه اللغوي، وما الكلمات التي تدخل في قاموسه اللغوي، ما طول الجملة المناسبة له؟ وما درجة صعوبتها من حيث التركيب والتعقيد - أي درجة مقروئية المادة- ثم ميول هذا الطفل، ما ميوله القرائية؟ وما الذي يمتعه؟ وما الذي يتوقعه من الكتاب الذي يلجأ إلى قراءته؟"⁽²⁾

يحرص المربون على ربط الطفل بالكتاب عن طريق غرس المطالعة عنده، وأول وأهم ما يواجهه الطفل- في الأدب المقدم له- اللغة، لذلك "لابد في أدب الأطفال من العناية باللغة إذا رغب الأديباء في مساعدة المربين على غرس عادة المطالعة في الطفل، وذلك أن اللغة هي البناء الأدبي المعبر عن معانٍ ومعارف وقيم. فإذا لم يكن البناء ملائماً للطفل، انصرف عنه وأهمل القراءة، وإذا لاعمه البناء أقبل عليه وشرع يستفيد من مضمونه وشكله، ولكي يحقق البناء معيار الملاءمة لا بد له من:

1- وضوح اللغة، والابتعاد عن الغموض في الألفاظ والتداخل في التراكيب.

2- بساطة اللغة والابتعاد عن الألفاظ الغريبة عن معجم الطفل اللغوي⁽³⁾ .

يحتاج الأطفال في أدبهم إلى مراعاة وضوح اللغة وبساطتها. ومما يساعد على ذلك "قرب المفهومات والمدرجات من عالم الطفل، وتوفير التكرار اللازم للفظة الجديدة، والإكثار من الألفاظ المألوفة والتراكيب القصيرة والاقتصاد في الروابط، بغية الابتعاد عن الجمل المركبة، وعدم الإغراق في المجاز"⁽⁴⁾ .

من هذا المنطلق عمل النقاد وعلماء النفس والتربويون على بيان الأطوار المختلفة التي تمثل النمو العقلي والوجداني لدى الأطفال، واللغة التي تناسب كل طور منها، مع الإشارة إلى أن أطوار الطفولة ومرآحتها قد يتداخل بعضها في بعض تداخلاً زمنياً، وتختلف من الذكور إلى الإناث، ومن أمة إلى أمة أخرى أحياناً، والأطوار هي:

(1) التربية اللغوية للطفل: سرجيو سبيني، ص130

(2) مضمون الكتب الصادرة للأطفال، بحث منشور في كتاب "كتب الأطفال في الدول العربية والنامية": كافية رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م، ص112.

(3) الخصائص اللغوية لأدب الناشئة: سمر روجي الفيصل، مجلة التربية، قطر، 118/25، 1996م، ص205

(4) المرجع السابق والصفحة السابقة

أ- طور الواقعي المحدود بالبيئة؛ ويمثله الأطفال من سن الثالثة إلى الخامسة تقريباً، وأنسب القصص له ما احتوى على شخصيات مألوفة من الحيوانات والنباتات، وحوادث عنها، وتكون لهذه الشخصيات صفات جسمية سهلة الإدراك⁽¹⁾.

ب- طور الخيال الحر: ويمثله الأطفال من الخامسة إلى الثامنة أو التاسعة، بعد أن يكون الطفل قد تعرف على البيئة المحيطة به، يجنح إلى بيئة الخيال الحر، الذي تظهر فيه الجنيات والعمالق والأقزام⁽²⁾.
ج- طور البطولة والمغامرة: ويمثله الأطفال من سن الثامنة إلى الثانية عشرة، يميل الناشئ عن الأمور الخيالية والوجدانية إلى حد ما، ويعني بالحقيقة الواقعية، فيميل إلى قصص المغامرات والشجاعة والعنف، والقصص البوليسية⁽³⁾ كقصص الرحالة والمكتشفين لأحمد نجيب.

د- طور الغرام: من الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة، في هذا الطور يتم الانتقال من الطفولة إلى الرجولة، يميل فيه الفتيان للقصص الوجدانية وقصص البطولة والجاسوسية، وقصص المطامح كالنجاح في العمل والمشاريع⁽⁴⁾. وبلي ذلك طور المثل العليا، ويبدأ من سن الثامنة عشرة ويستمر بعد ذلك⁽⁵⁾.

وتعد اللغة من العناصر المهمة في القصة بشكل عام، وفي قصة الأطفال بشكل خاص، فهي القلب الذي يصب فيه القاص أفكاره، ويجسد رؤيته في صورة مادية محسوسة، ينقل من خلالها رؤيته للناس والأشياء من حوله، فباللغة تتطلق الشخصيات، وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب. وحتى يتواصل كاتب الأطفال معهم فإنه يحتاج إلى أن تكون لغته منفتحة مع ما يناسب نموهم اللغوي، كاستعمال الجمل القصيرة التي هي أشد قرباً منهم "لأن الطفل يريد من الجملة نتيجة سريعة، وهو قليل الصبر لا يحتمل التريث، ويريد من تراكيبها أن تكون واضحة، لأنه لا يحمل نفسه كثيراً مشقة الاستنتاج ويفضل أن يتسلم النتائج جاهزة في كثير من الأحيان"⁽⁶⁾.

لذا يعتمد أدب الأطفال إلى الإيجاز، والسرعة، واستخدام الجمل القصيرة الواضحة التي يمكن للأطفال فهمها دون عناء:

"قال أحمد على القطن.. وأخذ يقلب في ورقه، وجد دودة تنهش في ورقة..

فزرعها بورقتها... وأحرقها.. حينئذ فقط ابتسمت شجرة القطن الصفراء.. فلمحتها الشجرة.. ففرحت... ورفرف الطائر وطار وغنى، وأخذت الريح تهب بنسيمها العليل..."⁽⁷⁾.

(1) القصة في التربية: عبد العزيز عبد المجيد، دار المعارف، بمصر، ط7، (د.ت) ص15

(2) المرجع السابق ص16

(3) المرجع السابقة ص17

(4) المرجع السابق ص18

(5) البني الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، د.موفق رياض مقداي، ص52-53

(6) أدب الأطفال فلسفته، قوته، وسائطه: هادي الهيتي: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1977م، ص98-99

(7) الدودة وشجيرة القطن: عبدالنواب يوسف، سلسلة دراسات في أدب الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

1987م، ص4.

وإذا أراد الكاتب أن يكتب قصة تناسب نمو الأطفال اللغوي، فإن عليه أن يلجأ بمراحل النمو اللغوي عندهم، والتي صنفت على النحو التالي:

أ- مرحلة ما قبل الكتابة: وهي ما بين سن 3 و6 سنوات تقريباً⁽¹⁾. وهذه المرحلة تسبق بداية تعلم الطفل للكتابة "وفيها يميل إلى قصص الحيوان والطيور ولكنه لا يستطيع أن يفهم اللغة، من خلال التعبير البصري التحريري المكتوب، لذلك فإن البديل عن ذلك تقديم القصة من خلال التعبير الصوتي الشفوي، أي عن طريق رواية يقرأ لهم القصة، ويمكن اختيار وسيط آخر لتقديم القصة لهذه المرحلة من خلال الإذاعة أو التلفاز، أو عن طريق الرسم أو الكتاب المصور"⁽²⁾.

ب- مرحلة الكتابة المبكرة، وهي من سن 6- إلى 8 سنوات تقريباً، وهي المرحلة التي يبدأ فيها الطفل في تعلم القراءة والكتابة، وتكون مقدرته على فهم اللغة المكتوبة محدودة، أي في نطاق ضيق، ويفضل في هذه المرحلة أن يتوفر للطفل قصص تضم إلى جانب الرسم والصور كلمات وعبارات بسيطة في حدود ما يمكن أن يضمنه قاموس الطفل من ألفاظ⁽³⁾.

ج- مرحلة الكتابة الوسيطة: وهي بين سن 8 و10 سنوات تقريباً، وفيها يكون الطفل قد سار شوطاً لا بأس به في طريق العلم، القراءة، والكتابة، وهنا يمكن أن يتسع قاموس الطفل لقصة تسهم فيها الكتابة بدور رئيسي على أن تراعي فيها سهولة العبارات والتراكيب⁽⁴⁾.

د- مرحلة الكتابة المتقدمة: وهي من سن 10 و12 سنة تقريباً، وفيها يكون قاموس الطفل قد توسع ويدخل بعدها إلى مرحلة الكتابة الناضجة، عندما يملك ناصية فهم اللغة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المراحل متداخلة وتختلف باختلاف البيئات والمجتمعات، ودرجة التقدم العلمي، بالإضافة إلى أنها تتأثر بالفروق الفردية بين الأطفال- كما أن بداياتها ونهاياتها ليست ثابتة⁽⁵⁾.

خاتمة البحث :-

وقد توصلنا من دراستنا لأدب الأطفال التي جاءت بعنوان "أدب الأطفال دراسة نقدية في السمات العامة" إلى عدة نتائج منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

أولاً: يُعدّ أدب الأطفال من الفنون الحديثة في الأدب العربي والعالمي .

ثانياً: أدب الأطفال يكتبه الكبار للصغار في لغة تتناسب وجمهور الأطفال ومداركهم . فهو أدب

يكتب وفق معايير كتابة النص الأدبي ولكنه يوجه لجمهور معين : الأطفال .

(1) هذا كلام قديم لا يصلح الآن، لأنه تم إنشاء رياض الأطفال التي نجحت في تعليم الأطفال القراءة والكتابة، انظر البني

الحكاية في أدب الأطفال العربي الحديث: د. موفق رياض مقدادي ص194

(2) فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، دار الكتاب العربي، مصر، ط5، 1982، ص37-38

(3) فن الكتابة للأطفال: أحمد نجيب، ص38

(4) المرجع السابق ص38-39

(5) المرجع السابق ص 36/ انظر كذلك البني الحكايات في أدب الأطفال العربي الحديث: د. موفق رياض مقدادي، ص

47 وما بعدها .

ثالثاً : تستمد فلسفة أدب الأطفال مقوماتها من فلسفة المجتمع وعاداته وتقاليده ومن فلسفة التربية الحديثة .

رابعاً : للتراث العربي والإسلامي خصوصية في تنمية المهارات الأدبية لدى الطفل ، فهذا التراث حافل بالمادة الغزيرة التي تثري عالم الطفولة ، وتسمو بخيال الأطفال وتجمل واقعه ، مع ضرورة الاطلاع على جهود الأمم الأخرى في مجال ثقافة الطفل وأدب الطفل .

خامساً : أدب الأطفال العربي يحتاج إلى وضع معايير مناسبة لتنمية الإبداع لدى الأطفال .

سادساً : تساعد الحكاية والمطالعة على تقوية الملاحظة لدى الطفل وكذلك إثراء لغته .

سابعاً : يحتاج الأطفال في أدبهم إلى مراعاة وضوح اللغة وبساطتها ، والابتعاد عن الغموض في

الألفاظ ، والتداخل في التراكييب ، والابتعاد عن الألفاظ الغريبة عن معجم الطفل اللغوي.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- (1) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. صابر عبد الدايم، دار الشروق، القاهرة، 2002م، ط1.
- (2) أدب الأطفال فلسفته، قوته، وسائطه: هادي الهيتي: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1977م.
- (3) أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية: د. إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، 2000م، ط1.
- (4) أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية: د. إسماعيل عبد الفتاح.
- (5) أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية: رشدي أحمد طعيمة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م.
- (6) أدب الأطفال في الوطن العربي قضايا وآراء، أحمد فضل شبلول، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، 2000م، ط1.
- (7) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: نجيب كيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
- (8) أدب الأطفال: عبد الرازق جعفر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1979م.
- (9) أدب الطفل العربي: حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1991م.
- (10) البني الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، د. موفق رياض مقدادي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2012م، العدد 392.
- (11) التربية اللغوية للطفل: سرجيو سبيني، ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح عبد الفتاح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991م.
- (12) الخصائص اللغوية لأدب الناشئة: سمر روجي الفيصل، مجلة التربية، قطر، 118/25، 1996م.
- (13) الدودة وشجيرة القطن: عبد التواب يوسف، سلسلة دراسات في أدب الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.
- (14) فن الكتابة للأطفال : أحمد نجيب ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر فرع مصر ، 1968م، (د.ط).
- (15) فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، دار الكتاب العربي، مصر، ط5، 1982.
- (16) في أدب الأطفال : علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1982م.
- (17) القصة في التربية: عبد العزيز عبد المجيد، دار المعارف، بمصر، ط7، (د.ت)
- (18) مشكلات الأدب الطفلي، سيسيليا ميرايل، ترجمة مها عنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1997م.
- (19) مضمون الكتب الصادرة للأطفال، بحث منشور في كتاب "كتب الأطفال في الدول العربية والنامية": كافية رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م
- (20) معجم الطفولة، مفاهيم لغوية ومصطلحات: أحمد زلط، د. ت، القاهرة، ط1، 2000م.